المحاضرة السادسة- نظرية المسئولية الاجتماعية:

بعد ان تعرضت نظرية الحرية لكثير من الملاحظات كان لابد من ظهور نظرية جديدة في الساحة الاعلامية فبعد الحرب العالمية الثانية ظهرت نظرية المسؤولية الاجتماعية في الولايات المتحدة الامريكية، وتقوم هذه النظرية على ممارسة العملية الاعلامية بحرية قائمة على المسؤولية الاجتماعية وظهرت القزاعد والقوانين التي تجعل الرأي العام رقيبا على اداب المهنة، وذلك بعد ان استخدمت وسائل الاعلام في الاثارة والخوض في اخبار الجنس والجريمة، مما ادى الى اساءة استعمال الحرية أو مفهوم الحرية.

يرى اصحاب هذه النظرية أن الحرية حق وواجب ومسؤولية في الوقت نفسه، ومن هنا يجب أن تقبل وسائل الاعلام القيام بالتزامات معينة تجاه المجتمع ويمكنها القيام بهذه الالتزامات من خلال وضع مستويات أو معايير مهنية للاعلام مثل : الصدق والموضوعية والتوازن والدقة، ونلاحظ هذه المعايير تفتقد اليها نظرية الحرية، ويجب على وسائل الاعلام في اطار قبولها أن تكون وسائل الاعلام تعددية تعكس تنوع الاراء والافكار في المجتمع من خلال اتاحة الفرصة للجميع من خلال النشر والعرض، كما أن للجمهور العام الحق في شؤون وسائل الاعلام، ويمكن أن يكون تبرير تحقيق هذه المصلحة العامة، أضف الى ذلك أن الاعلاميين في وسائل الاتصال يجب أن يكونوا مسؤولين أمام المجتمع بالاضافة الى مسؤولياتهم امام مؤسساتهم الاعلامية.

ويحظر على وسائل الاعلام نشر أو عرض ما يساعد على الجريمة أو العنف أو ماله تأثير سلبي على الاقليات في أي مجتمع، كما يحظر على وسائل الاعلام التدخل في حياة الافراد الخاصة وبامكان القطاع العام والخاص أن يمتلكوا وسائل الاعلام في ظل هذه النظريات ولكنها تشجع القطاع الخاص على امتلاك وسائل الاعلام.

تنطلق هذه النظرية من محاول إيجاد توازن بين مفهومي الحرية والمسئولية. ونظرا لتزايد النقد ضد الصحافة مع مطلع القرن العشرين وخلال العقود الأولى منه نتيجة اعتماده على الإثارة والمنطق التجاري، ونتيجة الاحتكارات والإنحيازات السياسية لهذه المؤسسات في الولايات المتحدة، تكونت لجنة خاصة للنظر في هذه الأمور بشكل عام سنة **1942** تحت رئاسة **هتشنز Huchins** رئيس جامعة شيكاغو. وقد وضعت هذه اللجنة نصب عينيها مهمة التحقيق في هل أخفقت أو نجحت الصحافة الأمريكية في أداء دورها الاجتماعي، وتحديد أين مواقع الحرية

التي ينبغي على الصحافة أن تتوقف عندها، وما تأثير الضغوط الحكومية او الإعلان التجاري على حرية العمل الصحافي.

وقد أعدت اللجنة تقريرها عام **1947**، وفيه عكست نقدا لأداء الصحافة في عدم تهيئة الفرصة لأصوات أخرى غير تلك المؤثرة والمرتبطة بالقوى الفاعلة في المجتمع. وفي هذا التقرير تم استخدام مصطلح "المسئولية الاجتماعية" لأول مرة وانعكس في تحديد مسئوليات واضحة ينبغى أن تعمل عليها الصحافة، بما في ذلك إتاحة المجال أمام مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية للتعبير عن رأيها واتجاهاتها حول القضايا العامة في المجتمع. وقد أيقظت هذه اللجنة الحاجة في دول غربية أخرى (المملكة المتحدة والسويد) الى تأسيس لجان للنظر أوضاع الإعلام واقتراح حلول عملية في هذا الاتجاه. وعلى سبيل المثال طرح **بيكارد (Picard, 1985)** مفهوم نظرية جديدة أسماها النظرية الديموقراطية الاشتراكية للإعلام **democratic-socialism theory** وحاول من خلالها تحسس التحولات في المجتمع الأوربي بخصوص دور وسائل الإعلام في المجتمع.

وتعني المسؤولية الاجتماعية للصحافة الاهتمام بالصالح العام، ويحددها اخرون بانها الاهتمام بحاجات المجتمع والعمل على سعادته، بمعنى ان تتصف الصحافة بسداد الرأي والدقة والعدل والاعتماد عليها ومراعاة النواحي الاخلاقية.

وترى نظرية المسؤولية الاجتماعية بضرورة أن تقوم وسائل الاعلام بتحمل مسؤوليتها تجاه المجتمع جميعا وليس باتجاه الحكومات أو الدول وسياستها فقط كما ترى النظريات السابقة كنظرية السلطة والنظرية الاشتراكية.

وتعد نظرية المسؤولية الاجتماعية نهجا مستقلا ووسطا بين النظرية الشمولية والنظرية الليبرالية، وتؤمن هذه النظرية بأن العمل الاعلامي لابد أن يخضع الى سياسة واضحة ومحدودة تكون خططه في ضوء ذلك مدروسة وهادفة وتنسجم مع التوجه الذي ترسمه البلدان المعنية بهذه النظرية، ومعظم البلدان النامية وغيرها تنتهج حاليا هذا التوجه وحتى عدد من البلدان الاوربية.

- ظروف نشأة نظرية المسؤولية الاجتماعية :

هناك مجموعة من الظروف التي نشات في ظلها نظرية المسؤولية الاجتماعية، نذكر منها :

1- الاسباب الفكرية:

ظهرت نظرية المسؤولية الاجتماعية للصحافة عندما اخذ النقاد يراجعون الافتراضات التي ترتكز عليها النظرية الليبرالية بشأن طبيعة الحقيقة والانسان والمجتمع والحرية.

2- الاسباب الاقتصادية :

عمد التغير في المناخ الاقتصادي الى التفكيرفي تعامل جديد مع الاعلام، فالنظرة المثالية التي كان ينظر اليها الاقتصاديون للسوق على أنه حر ومفتوح للجميع لدخوله تحت الشعار الاقتصادي الذي ساد طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر(دعه يعمل دعه يمر..) املا في الصالح العام او تبدلت وتغيرت بزيادة تركيز الصناعات في ايدي قلة منعت على الافراد الجدد دخول السوق تحت الشعار نفسه.

واكتشفت وسائل الاعلام في ظل هذه الظروف قوة كبيرة ، بحيث عبر ملاك الصحف عن أرائهم السياسية والاقتصادية على حساب الاراء المعارضة، فاثيرت مشكلات التوازن والموضوعية، وتحكم المعلنين في السياسة التحريرية والمضمون.

3- الاسباب المؤسسية :

كان ظهور الاتحادات المهنية بداية للتنظيم الذاتي للصحافة وارهاصا للمسؤولية الاجتماعية في الولايات المتحدة الامريكية، فأسست جمعية ناشري الصحف الامريكية والجمعية الامريكية لمحرري الصحف، وجمعية الصحفيين المهنيين والتي لعبت دورا في صدور مواثيق الشرف المهنية.

4-ظهور عدد من الصحفيين الاخلاقيين :

برز دور الفرد في ظهور نظرية المسؤولية الاجتماعية للصحافة، عندما ادرك بعض الصحفيين حاجة الصحافة الى شخصيات تتسم بالشجاعة والاخلاق ليصنعوا المثل العليا لها، وكان ابرز شخصين في هذا المضمارهما:**هوراس جيرلي** و**جوزيف بولتر** من الولايات المتحدة الامريكية، ففي النصف الاول من القرن التاسع عشر كانت الصحافة سلاحا بتارا في الحرب السياسية في الولايات المتحدة حتى اطلق المفكر **لوثر موت** على هذه الحقبة(العهود السوداء للصحافة الحزبية)، وعلى الرغم من أن الرئيس الامريكي **توماس جيفرسون** كان متسامحا لدرجة كبيرة مع الصحافة ورفض اصدار تشريع يقيدها... فقد وصفها بانها الصفحات القذرة التي تروج للعهر الفكري بالاكاذيب.

5- الاسباب المهنية :

***ظهور الاشكال التحريرية الجديدة:** فقد كان ظهور الاشكال التحريرية الجديدة والقوالب المبتكرة عاملا في التنبيه على اهمية المواد المنشورة، فقد كتب **ويل ايروين** في مجلة **كوليرز** عام **1911** ان تاثير الصحافة تحول بشكل ملحوظ من المقالات الى اعمدة الاخبار، وان التحيز في تناول احداث المجتمع يشوه ادراك الجماهير لها ويمنعها من الحكم الصحيح.

***تطور اساليب الدعاية:** ذكرت لجنة حرية الصحافة ان الطلب الاجتماعي على مزيد من المسؤولية الاجتماعية يرجع لوجود جرعات ضخمة من الدعايات في وسائل الاعلام واستغلال الاعلام للسيطرة والتحكم في الجماهير واخضاعها، ما زاد الشك فيه،فقد انتشرتالانتقادات القاسية الموجهة الى الحملات الاعلامية ، التي اوصلت بعض الافراد الى اعلى المناصب، مما اساء الى اليمقراطية واثار المخاوف حول دور الصحافة الاجتماعي.

-مفاهيم ومحددات المسؤولية الاجتماعية للصحافة:

لقيت دعوة لجنة حرية الصحافة **لصحافة حرة ومسؤولة** صدى كبيرا داخل الولايات المتحدة الامريكية وخارجها في بلدان اوربا، وعلى راسها المملكة المتحدة ، فشكلت اللجنة الملكية الاولى للصحافة **1994**، ودعت الاحساس العاملين في الصحافة بسؤولياتهم الاجتماعية حيث تقوم الفكرة المحورية لافكار هذه النظرية على التنظيم الذاتي الاختياري لمهنة الصحافة، فتقوم الصحافة بتنظيم نفسها بنفسها وزفقا لمعايير هذه النظرية وتشكيل مجالس الصحافة.

ونص تقرير لجنة حرية الصحافة لعام **1947** على أن صناعة الاعلام في الولايات المتحدة الامريكية يجب ان تستمر في يد القطاع الخاص واضعة في اعتبارها المصلحة العامة، وقد كانت للجنة مجموعة تصورات حول وظائف الصحافة في المجتمع الحديث، وعدد من التوصيات للحكومة، والمؤسسات الصحفية، ومن بين هذه التوصيات:

*من حيث وظائف وسائل الاعلام في المجتمع المعاصر، رات اللجنة ان الصحافة يجب ان تقوم بالوسائل التالية :

-اعطاء التقرير الصادق والشامل والذكي عن الاحداث اليومية، في سياق يعطي لها معنى.

-ان تعمل كمنبر لتبادل التعليق والنقد

-ان تقدم وسائل الاعلام صورة ممثلة للجماعات المتنوعة التي يتكون منها المجتمع.

-ان تقدم وسائل الاعلام اهداف المجتمع وقيمة.

-أن توفر وسائل الاعلام معلومات كافية عما يجري يوميا.

*اوصت لجنة حرية الصحافة الحكومية بتطبيق الضمانات الدستورية لحرية الصحافة، وان تعمل الحكومة على تسهيل ظهور وسائل اعلام جديدة واستمرار المنافسة بين الوسائل الكبيرة القائمة، كما طالبت اللجنة بالغاء التشريع الذي يحظر على الافراد مساندة اجراء تغييرات ثورية على المؤسسات القائمة، لأن هذا التشريع يهدد المناقشات السياسية والاقتصادية.

*أوصت لجنة حرية الصحافة المؤسسات الاعلامية بتقديم خدمة تتسم بالتنوع والنوعية والكم الملائم لاشباع احتياجات الجماهير، فضلا عن زيارة مراكز الدراسات الأكاديمية والبحث والنشر في مجال الاعلام، وانشاء هيئة جديدة ومستقلة لتقييم أداء الصحافة لعملها، وتقديم التقرير السنوي حول هذا الاداء.

*أوصت اللجنة العاملين بمجال الاعلام بنقد متبادل وعنيف لبعضهم البعض، وأن يقبلوا مسؤولياتهم كناقل عام للمعلومات والمناقشة.

-المبادئ الاساسية لنظية المسؤولية الاجتماعية:

يلخص **دنيس ماكويل** المبادئ الأساسية لنظرية المسؤولية الاجتماعية فيما يلي:

-ينبغي على الصحافة ووسائل الاعلام الاخرى الاسهام في التزامات معينة للمجتمع.

-يمكن لوسائل الاعلام تنفيذ الالتزامات من خلال احترام المعايير المهنية لنقل المعلوامت كالحقائق والدقة والموضوعية والتوازن.

-على وسائل الاعلام المبادرة تنظيم نفسها ذاتيا.

-يتوجب على وسائل الاعلام تجنب نشر ما يشجع على الجريمة والعنف والفوضى الاجتماعية، وكذلك الامتناع عن توجيهأية اهانة الى الاقليات.

-على الصحافة احترام التعددية فيها وعليها ان تعكس تنوع الاراء وتخدم حق الرد.

-للمجتمع حق على الصحافة في أن تلتزم معايير رفيعة في ادائها لوظائفها.

-الانتقادات الموجهة لنظرية المسؤولية الاجتماعية :

تعرضت نظرية المسؤولية الاجتماعية الى مجموعة من الانتقادات، يمكن عرضها كالاتي :

1/ الانتقادات الموجهة للجنة حرية الصحافة ومفادها أن اعضاء اللجنة وهم اثنا عشر اكاديميا لا يملكون الحق في نقد الصحافة وفي تحديد ما يتوجب عليها القيام به، لانهم من خارج الجسم الصحفي، وقد اتهم هؤلاء بالتحيز واستخدمت في تقاريرها عبارات مطاطة غير محددة.

2/ الانتقادات التي ترى في المسؤولية الاجتماعية انتقاصا من حرية الصحافة وقد رأى فيها بعض النقاد أن هذه النظرية تشكل حلا حكوميا في عمل الصحافة.

3/ الانتقادات التي دلت على عجز نظرية المسؤولية الاجتماعية عن اصلاح الاداء الاعلامي في الغرب، وفيها أن الاخلاق في وسائل الاعلام الامريكية صارت الى انحطاط بتورطها في الكثير من أفلام العنف نالاباحية وانخفاض مصداقية الصحافة بين أفراد الجمهور، وزيادة اهتمام الصحافة بالشؤون الانسانية وأخبار الحوادث وازدياد الاحتكار لوسائل الاعلام وغير ذلك من الانتقادات.

4/ الانتقادات الموجهة لاليات التنظيم الذاتي لمهنة الصحافة' وذلك من خلال نقد مواثيق الشرف باعتبارها تشكل دخلا في عمل الصحافي أو ضغطا عليه، وكذلك فقد لاقت مجالس الصحافة التي انتشرت في الدول الغربية بنقد من قبل الصحفيين ، وذلك أن هذه المجالس لم تكن منزهة عن الخطأ وأعضاؤها ليسوا منزهين عن الشبهات والتدخل الحكومي فيها.